الصنائع والحرف في ممالك السودان الغربي واثر العامة فيها حتى نهاية القرن العاشر الهجري

ا.د. زمان عبيد وناس م. عطارد تقي عبود

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية

CRAFTS AND CRAFTS IN KINGDOMS OF WESTERN SUDAN AND AN THE IMPACT OF THE PUBLIC AND UNTIL THE END OF 10TH CENTURY AH.

Lec. Atared take Abood Asst.Prof. Dr.Zaman Obaid Wannas

University of Karbla / College of Education for Humanitarian Sciences

University Babylon / College of Education for Humanitarian Sciences

Atared take 1982@gmail.com

Abstract

The society in this country worked with families, clans, and tribes, living in villages and regions, practicing their daily lives, according to certain customs and patterns accustomed to them imposed by the geographical environment as well as inherited traditions, as it was dominated by the system of classes, and members of each class adhere to certain rituals and customs and patterns These classes are presented according to their dominance in the march of life are: the first ruling family, princes and senior feudal leaders, the second clergy, and the third general class, the broad class of the general public, and is distinguished from the previous two layers in the way of living and dress, and represents Slaves are the last layers of society, promised by the crushed classes that always work to devote themselves to the service of the masters and submit to them, and we find in some references to the inclusion of slaves within the public class who as we will point out later were captured in wars or sold in slave markets or who were born to slave parents Because the general class is the broad class in society, which is responsible for carrying out all economic activities in the society, as the direct workforce, this bourgeois class of tradesmen or proletariats represented the trades and professions such as blacksmiths, builders, tailors, and women. Yen butchers, hunters, peasants, auctioneers, brokers, porters, workers and crafts related to the means of entertainment, and domestic servants.

KEY WORDS:WESTERN S – FEUDAL LORDS-PUBLIC-CLERGY

الملخص

كان المجتمع في هذه البلاد يعمل بأسر، وعشائر، وقبائل، يقطنون قرى واقاليم، يمارسون حياتهم اليومية، وفق اعراف وانماط معينة اعتادوها فرضتها عليهم البيئة الجغرافية فضلا عن التقاليد الموروثة، إذ كان يهيمن عليه نظام الطبقات، ويلتزم افراد كل طبقة بطقوس واعراف وأنماط معينة لا يخرجون عنها وهذه الطبقات تقدمها بحسب همينتها في مسيرة الحياة هي: الاولى الاسرة الحاكمة والامراء وكبار القادة الاقطاعيين الكبار، والثانية رجال الدين، والثالثة الطبقة العامة، وهي الطبقة العريضة من طبقات عامة الشعب، وتتميز عن الطبقتين السابقتين في طريقة عيشها وزيها، وتمثل طبقة العبيد اخر طبقات المجتمع، وعدت من الطبقات المسحوقة التي تعمل دائما على التفاني في خدمة السادة والخضوع لهم، ونجد في بعض الاشارات الى ادراج شريحة العبيد ضمن طبقة العامة الذين كما سوف نشير لاحقا كانوا يؤسرون في الحروب أو يباعون في أسواق الرقيق أو الذين ولدوا لاباء ارقاء، ولان الطبقة العامة هي الطبقة العريضة في المجتمع التي تقع على عاتقها انجاز كافة النشاطات الاقتصادية في المجتمع، بوصفهم اليد العاملة المنجزة المباشرة،، وقد مثلت هذه الطبقة البرجوازية من التجار أو البرولتياريات أصحاب الحرف والمهن من أمثال الحدادين، والبنائين، والخياطين، والنساجين والجزارين، والصيادين، والفلاحين، والدلالين، والسماسرة، والحمالين، والعاملين بالحرف المتصلة بوسائل التسلية، والخدم في المنازل.

الكلمات المفتاحية: سودان غربي–رجال الدين– العامة– الاقطاعيين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد...

ضمت طبقة العامة في ممالك السودان الغربي عدة شرائح اجتماعية، كان لها اثر كبير في تطور الوضع الاقتصادي للبلاد ولانها الطبقة العريضة في المجتمع والتي تقع على عاتقها انجاز كافة النشاطات الاقتصادية في المجتمع، بوصفهم اليد العاملة المنجزة المباشرة،، وقد مثلت هذه الطبقة البرجوازية من التجار أو البرولتياريات أصحاب الحرف والمهن من أمثال الحدادين، والبنائين، والخياطين، والنساجين والجزارين، والصيادين، والفلاحين، والدلالين، والسماسرة، والحمالين، والعاملين بالحرف المتصلة بوسائل التسلية، والخدم في المنازل.كان لابد من التطرق الى كل هذه الحرف ومعرفة كيفية مزاولتها من قبل اصحابها واهم المواد الاولية التي تدخل في انجاز اعمالهم، وبالتالي تاثيرها المباشر على واقع الحياة اليومية.

ومنذا فقد فرضت طبيعة الدراسة ان تسير بخطة مفادها انها من مقدمة ومبحثين، تضمن المبحث الاول عنوان التركيبة الاجتماعية لممالك السودان الغربي، أما المبحث الاخر درسنا فيه أهم الصنائع والحرف واثر العامة فيها،، ثم تأتي الخاتمة التي استعرضت فيها الاستنتاجات التي توصلنا اليها، وبعدها قائمة المصادر والمراجع الحديثة المعتمدة في انجاز هذه البحث.

المبحث الاول/التركيبة الاجتماعية لمجتمع السودان الغربي

استمد المجتمع السوداني نظام الطبقات من اسلافه الذين كانوا يحكمون منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء ابتداءا من دولة مالي الاسلامية، وهو لذلك سار على النهج السابق نفسه، مع تغير طفيف لانه من الصعب على أي مجتمع ان يتغير في فترة قصيرة، فالبنية الاجتماعية صعبة التغير الا على امد طويل [211]. لكن هذه الظاهرة لم تكن ذات حدود مغلقة بحيث لا يستطيع الفرد ان يرقى من طبقة الى اخرى فـ(علي فلن) الذي اصبح مستشارا لأسيقا الحاج محمد الاول (898–935هـ) وامين سره كان في البداية عبدا له، وقد حدث ان احد ملوك سونغاي استقبل موكب الحجيج على عاداتهم في ذلك وقيل على يد احد العبيد الذي كان بينهم، فأراد احد حراس الملك ان يؤدب العبد الذي مد يده للاسقيا دون ان يعرف ان عبده فكان هذا سببا في ان الملك اعتق ذلك العبد واعتق خمسين نفسا من قبيلة أمه وخمسين نفسا من قبيلة ابية ايضا واسقط عنهم جميع وظائف السلطنة، وجاءت عجوز الى الاسيقا داوود تطلب منه ان يبيع اولادها _وكانوا عبيدا له_الذي باعهم الى مكان واحد وان يهبهم اذا اراد ذلك الى مكان واحد حتى لا يتفرقوا فأجابهم الملك " لقد اعتقتهم شكرا لله"، وكتب لهم وثيقة شهد بها الحاضرون فأصبحوا من ذلك الحين احرارا[212].

كان المجتمع في افريقيا الغربية ينقسم الى عدة طبقات رئيسية متميزة و تضم:

أ- الطبقة الاولى: الارستقراطية الملكية والحاشية والنبلاء والقواد واضرابهم وعاشت هذه الطبقة حياة مترفة لاتجاريها في ذلك أي طبقة اخرى فكان الاسكيا داوود يجلس في يوم الجمعة على عاداتهم وعبيده واقفون بين يديه وكانوا حوالي سبعمائة وكل واحد منهم يرتدي لباسا من حرير، كما امتازت هذا الطبقة عن بقية الطبقات بأن قوانين الدولة لا تطبق على افرادها لان اجهزة التنفيذ وعلى رأسها الاسكيا هي التي تقف حاجزا دون تنفيذ الاحكام الصادرة ضدهم اذا ما تجاوز هؤلاء حدود حرياتهم وسط افراد المجتمع [213].

---

[211] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص17.
[212] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين1493-1591، ص111-112
[213] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص19.

ب- الطبقة الثانية: رجال الدين وتأتي بعد الطبقة المالكة وتفوقها في العدد وتتكون من القضاة والائمة والمدرسين ولا يتولى افراد هذه الطبقة الوظائف الادارية العالية، التي لا يتولها الاذو الحظوة لدى الحكام من العائلة او كبار الملاك ولا يبلغ شخص مكانه اجتماعية تجعله اهلا لهذه الوظائف الابعد ان يرتفع باملاكه وسلطته عن الدرجة الاجتماعية للطبقة الوسطى[214].

ج- الطبقة الثالثة: العامة، العامة هي متصور واسع وغير محدد، يضم فئات شعبية وأصنافا مختلفة، وهو يعرف عادة باللفظ المقابل له: الخاصة، ويراد بالخاصة أصحاب الخليفة من ذوي قرباه، ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقواد والاشراف والقضاة والشهود، علاوة على بعض المقربين من أهل الفن الموهوبين والعلماء وأهل الادب فأن العامة هي بقية الفئات الاجتماعية المحرومة من الثروة والمعدومة النفوذ والجاه، وتتكون داخل المدن من الحرفيين وصغار التجار والعاملين في الزراعة والرقيق[215].

واذا بحثنا عن كلمة العامة في اللغة يمكن القول ان العامة بفتح العين وتشديد الميم اسم للجمع، فيقال: رجل "عُمَّيٌّ" ورجل" قُصريٌّ" فالعمي العام، والقصري الخاص، وفي الحديث كان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم اذا اوى الى منزله جزء دخوله ثلاث اجزاء: جزاءا لله، وجزاءا لاهله، وجزاءا لنفسه، ثم جزء جزاءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة كانت لاتصل اليه في ذلك الوقت، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه، فكانه أوصل الفوائد الى العامة بالخاصة[216].

ورد لفظ العامة بمعناه الطبقي عند محمود كعت (ت 1002هـ/1593م) [217]، الذي ميز بين العامة والخاصة، فذكر ان أسكيا اسحاق الاول (946-956هـ/ 1539-1549م) أمر يوما بأن يحضر كل من كان في جنى من العامة والخاصة في المسجد.

كما ورد مصطلح العامة بمعناه الطبقي أيضا عند السعدي [218]، حينما تحدث عن الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التمبكتي المعروف ببغيع (ت 1002هـ/ 1593م) حينما قال: " مع تشبثه بحوائج العامة"، كما قال عن القاضي ابي حفص عمرو بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت: " المنسر وجهه للخاصة والعامة"، كما تحدث عن سيدي يحيى الذي ظهرت بركاته للخاصة والعامة.

ويمكن القول ان العامة الذين تم تعينهم في الدراسة هم السود الاعظم من السودان الغربي، والذين عملوا في حقول الكسب شتى، ويندرج تحت طبقة العامة كل الشرائح الاجتماعية الدنيا المهمشة التي يطلق عليها "جمهور الناس"، والبعيدة عن عالم السلطة والنفوذ والثراء وتضم الفئات العريضة من الحرفيين وصغار التجار والباعة المتجولين والاجراء والفلاحين والرعاة والطلبة والرقيق، وقد عاشت هذه الطبقة على هامش الحياة السياسية للطبقة الحاكمة ومعاونيها برغم أنهم يمثلون عصب الحياة الاقتصادية وحجر الزاوية لواقع الحياة الاجتماعية والتفاعلات الثقافية.

كان للتقدم الهام في الصناعات البسيطة وفي التجارة اثر في نشوء طبقات مختلفة منها طبقة الديولاdioula من التجار وطبقة الحدادين والدباغين والصيادين[219] فهم يندرجون ضمن فئة اصحاب الحرف، هي فئة قليلة تعتمد في حياتها على عملها اليومي من حدادة وخرازة وليس لها قيمة تذكر في الوضع الاجتماعي ولايسند الى ابنائها أي عمل يخص الدولة [220].

---

[214] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء،ص20.
[215] فهد، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، ص13.
[216] ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص 426.
[217] تاريخ الفتاش، ص 88.
[218] تاريخ السودان، ص44، 294-296، 363.
[219] قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص101.
[220] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591، ص123.

ويرجع قلة عدد أفرادها الى قلة انواع الحرف بالدرجة الاولى.ويرجح ان هذه الطبقة لم تأخذ في السودان الغربي مكانة اكثر من تلك التي كانت لها وهذا بالرغم من انها تقوم بدور مفيد جدا في الانتاج لان المجتمع كان مجتمعا زراعيا رعويا في المقام الاول ومن ثم فان انواع الحرف بطبيعتها كانت لم تتعد التجارة والحدادة والخرازة في اغلب الاحيان [221]. فعلى سبيل المثال أهل تمبكتو ليسوا بأهل حراثة ولكنهم أهل صنائع كالخياطة والتجارة والحدادة والجزارة والدبغ وصناعة الذهب والفضة وغير ذلك ولهم عقول في ذلك راجحة لايأتيهم شيء في الاكثر الاصنعوا مثله[222]

فلقد كان المجتمع المالي في العصور الوسطى مجتمعا طبقيا يأتي أعلى قمة هرمة الملك الذي لقب بالإمبراطور والكي والمنسا والسلطان وله سلطات مطلقة ويخضع له شعبه خضوعا تاما فيه شيئا من التقديس. يليه نوابه ووزراءه وقواده وحاشيته الذين غالبا ما ينتمون للاسرة المالكة، وكان للقضاة والعلماء والفقهاء والمعلمين سواء كانوا من اهل البلاد او الوافدين عليها منزلة وحظوة لدى سلاطين مالي الثانية [223]. وكذا الحال في مجتمع سونغاي واضح الطبقية فان الطبقات الاجتماعية كانت كما يلي: طبقة العائلة المالكة والارستقراطية الرسمية، والطبقة الوسطى والطبقة الثالثة _اطلق مصطلح الطبقة الثالثة منذ ايام الثورة الفرنسية وهو يعني بالضبط ماكان يعرف عند العرب بالعامة – وكل منها كان يضم عدة شرائح اجتماعية عديدة ويأتي على رأس تلك الفئات افراد العائلة المالكة وفئة الارستقراطية الرسمية المؤلفة من الحاشية والنبلاء والقواد وولاة الاقاليم [224].

د- الطبقة الرابعة: العبيد او الخدام، الذين يؤمرون فيطيعون او يقومون بالاعمال في الاسواق وفي الحقول وفي المنازل لحساب غيرهم ومن هنا فانها تصبح طبقة الانتاج الاولى في البلاد[225]، وقد تكاثر عدد افراد هذه الطبقة مع الزمن فتصل نسبتهم في المجتمع بما يزيد على النصف وهذه الكثرة جاءت بالدرجة الاولى من الحروب[226].

وحصلت غانة على رقيقها بصفة اساسية من القبائل المتوحشة التي عرفت في الكتب العربية بأسم الدمادم[*] dem dem[227]. وكان العبيد سلعة تباع وتشترى ليس لديهم أي معيار وكان ثمن الفرس الواحد يساوي خمسة عشر عبدا وكانت مهمة العبيد العمل في المزارع والبيوت والمحلات[228].

وكان بعض الرقيق يتمتعون بحرية خاصة فقد كان عدد من القبائل ملكا لسلطان كاو الاان القبيلة تقوم في ارض تفلحها وفق نظام المقاسمة مع السلطان وتنتقل هذه القبيلة من حوزة ملك الى اخر فقد ربح السلطان محمد الحاج صاحب كاؤ من انتصاره على احد الامراء اربعا وعشرين قبيلة كانت من قبل تابعة لدولة مالي[229]. ونتيجة للحروب التي قامت في دولة السونغاي في عهد سني علي[230] ومرورا باسكيا الحاج محمد وخلفائه فقد ادت غزواتهم للمناطق المجاورة لهم الى تكاثر عدد العبيد عن طريق

---

[221] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591، ص123-124.
[222] الارواني، السعادة الابدية في التعريف بعلماء تنبكت البهة، ص77.
[223] شبو، الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولة مالي الاسلامية، ص 83-84.
[224] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493_1591، ص113.
[225] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1494-1591، ص120؛الترمانيتي، الرق ماضيه وحاضره، ص16.
[226] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص24.
[*] الدمام: ومن أممهم الدمادم وبلادهم على النيل فوق بلاد الزنج والدمادم تتر السودان فإنهم خرجوا عليهم وقتلوا فيهم كما جرى للتتر مع المسلمين وهم مهملون في أديانهم ولهم أوثان وأوضاع مختلفة وفي بلادهم الزرافات وفي أرض الدمادم يفترق النمل إلى جهة مصر وإلى الزنج. للمزيد ينظر ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر تاريخ ابي الفداء، ص96.
[227] طرخان، امبراطورية غانة الاسلامية، ص74.
[228] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص24.
[229] قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص101.
[230] سني علي: كان ذا قوة عظيمة ومتانة جسيمة، ظالما، فاسقا، متعديا، متسلطا، سفاكا للدماء قتل من الخلق ما لا يحصيه الا الله تعالى وتسلطه على العلماء والصالحين بالقتل والاهانة والاذلال، دخل تمبكتو سنة 873هـ وعمل فيها فسادا عظيما جسيما وبلغ غاية في الفساد وملك بالظلم والتعدي

استرقاق مناطق باكملها فقد ورث الآسكيا الحاج محمد [231] عقب المعركة التي انتصر فيها على (ش بارو) ابن الملك سني علي اربعا وعشرين قبيلة ذكورا واناثا واستخدم جزءا لزرع ارضه وجزءا لرعاية خيوله، وكان يأخذ من بعض اولادهم كل عام ويبيعهم في اسواق النخاسين ويشتري بأثمانهم خيلا وقد وهب للشريف الحسيني واولاده من هؤلاء العبيد الفا وسبع مائة[232].

ويذكر المغربي[233] ان العبيد كانوا خمسة اقسام هي: الاقيان الذين ارتقى بهم ذكاؤهم وجهدهم الخاص الى ان يصبحوا قادة وموظفين، وعبيد الدار الذين عملوا في المشور وكان لهم دور سياسي بعد الفترة الاولى للحكم المغربي، وعبيد الحكام وكبار رجال الدولة والضباط وكانوا ينفذون الاحكام ويزاولون بعض المهام الادارية، وعبيد العلماء والشرفاء الذين تلقوا بعض العلوم، ثم عبيد التجار وملاك الاراضي وقد وضعت قيود على تلك الفئات سواء فيما يخص معاملة افرادها، أو فيما يتعلق بالزواج بينها أو منها ومكانة الطفل المولود احداها ومكانة العبد المقدم كهدية أو دية أو فدية أو صدقة.

ويندرج ضمن الطبقة الرابعة فئة تعرف بأسم الاقنان أو الحراطين السود، فهم مجموعات الاقنانُ في البوادي والفقراء وكانوا في معيشتهم اقل حالا من فئة العبيد الذين يشتغلون في منازل اسيادهم او في حظائرهم ولذا كانوا في قوتهم اليومي على الاقل لا ينزلون لدرجة الخصاصة في حين كان الاقنان يعتمدون في كل حاجياتهم على جهدهم الخاص، وكانت البطالة متفشية بينهم في المدن اكثر منها في البوادي، فكان يقع على الاقان معظم الاعباء الفلاحية والرعوية في ضيعات السادة الكبار الواسعة، وقد عرف من اسمائهم كفئة اجتماعية في مملكة سونغاي "الزناجية"، كما اطلق عليهم احيانا "الحراطين" وتبدو نسبتهم الى نسبة العبيد ضمن افراد الطبقة الاجتماعية الثالثة [234].

المبحث الثاني/ الحرف والصنائع في ممالك السودان الغربي

يعرف ابن سيدة[235] الصناعة بأنها "حرفة الصنائع"، وعمله الصنعة. والصناعة ماتستصنع من امر، ورجل صنع اليد، وصناع اليد من قوم صنعى الايدي وصُنْع وصُنُع. وعرفها ابن خلدون[236]:" إعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري". اذا فالصناعة هي عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع الذي يعمل به كالطحانة والخبازة، او في صفته كالنجارة والحدادة والصياغة، فالصناعة هي اجادة الفعل، فكل صنع فعلا وليس كل فعل صنع، ومنها يقال رجل صنع اليدين اذا كان حاذقا في الصنعة وماهرا في عملها[237].

كان لكل صناعة او حرفة رئيس او معلم يعرف بأسم الالفا، أي رئيس الطائفة من تلك الصناعات أو الحرف وقد بلغ عدد الفئة في بعض الاحيان من خمسين الى مائة صانع من المتعلمين لحرفة الخياطة وتعرف بيوتهم أو محلاتهم باسم تند. يتضح مما

على الرعية الى ان توفي سنة 898هـ راجعا من غزوة كرم بعد ما حارب الزغرانيين والفلانيي لما وصل بلاد كرم، في رجوعه انطلق علية سيل هنالك في موضع يسمى كني فأهلكه الله تعالى فاتح عام 899 هـ وبعد ذلك تحولت المملكة لامير المؤمنين آسكيا الحاج محمد. الأرواني، السعادة الابدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، ص61-64.

[231] الحاج آسكيا محمد: الامام العادل والسلطان الفاضل، فلما ملك ارض التكرور وصارت كلمتة نافذة فيها عزم على الحج وزيارة قبر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وتهيأ وخرج في العام الثاني بعد تسعمائة وحج البيت في ذلك العام ورجع في السنة الثالثة فأصلح الله له ملكه ونصره نصرا عزيزا وفتح له فتحا مبينا فملك هذا التكرور الى البحر المالح والى تغازا يمنه وشماله، مغربه ومشرقه فطوع الجميع بالسيف الشرعي مع العافية الباسطة والرزق الواسع والخير الدائم ولم يكن في ايامه بؤس ولا بأس بل كانت رعيته في امن وعافية وفرض عليهم شيئا خفيفا من المغارم ولم يزل على سيرته المذكورة الى ان قام عليه ابنه موسى بانقلاب عسكري عزله من منصبه قهرا ونفاه الى جزيرة نائية. الأرواني، السعادة الابدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، ص65-66.

[232] طرخان، امبراطورية غانة الاسلامية، ص 74.

[233] المغربي، بداية الحكم الغربي في السودان الغربي، ص 602.

[234] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591، ص122؛ الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء،ص25.

[235] المخصص، ج4، ص 6.

[236] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج1، ص 399.

[237] علي، المصطلحات الاقتصادية في كتاب امثال العوام في الاندلس،، ص 35.

تقدم ان ذلك النظام يشبه مايعرف في عصرنا الحالي بأسم النقابات أو الاتحادات[238]. فشهد القرن الرابع عشر في افريقيا الغربية تطورا هاما في الصناعة فكان لها مختصون في مختلف المهن فكان هنالك الحدادون وصانعوا الاباريق الفخارية والنجارون والحاكون والصائغون وغيرها من الصناعات.

1. استخراج المعادن : كان لمنطقة السودان الغربي ثروة معدنية يفوق عائدها الاقتصادي الثروة الزراعية والحيوانية وتشمل معادن مهمة وهي الذهب والملح والنحاس والكحل وغيره[239]، ويندر وجود الملح في منطقة السودان بين الصحراء ومنطقة الغابات، وكان تراجع الصحراء التدريجي ابعد السودانيين كثيرا عن موطن هذه المادة التي تستخدم في تجفيف الطعام والمحافظة عليه، فلم يكن باليسر الحصول على الملح فيها الا بعملية شاقة من تقطير الحشائش او بحمله في الغابات المطرية الاستوائية للمحيط الاطلسي الجنوبي وبذلك كان ملح الصحراء ذا اهمية أساسية واصبحت تنمية احواضة مسؤولية يضطلع بها البربر في الجزء الاوسط الشمالي من الصحراء حيث يبادلون بالملح الذهب والعبيد الذين يستخدمون في معامل الملح[240].فالذين كانوا يعملون في تعدينها هم خليط من المغاربة ويمثلون عامة المسوفيين والطوارق لاجل استخراج الملح من مناجم تغازا. والراجح ان غير المسوفيين من المغاربة الوافدين عملوا في تعدين الملح بها، فهولاء كانوا يأتون مع القوافل ويظلون يعملون في استخراج الملح ويحتفظون به الى ان تأتي قافلة أخرى تشتريه فيحمل كل جمل ألواح من الملح، ولم يختلف حال هؤلاء العمال من المغاربة الذين اقاموا بجوار مناجم الملح في تغازا عن المسوفين القائمين بالفعل على هذا العمل، فالجميع كانوا يعانون من قسوة الحياة وقلة الطعام، اذ لم يكن لهم اقوات سوى التي تجلب لهم من تمبكتو أو درعة [241]. فساهم عامة السودان في تعدين الملح بشكل واضح، وان كان هنالك قسما منهم تعرض للمطالة في الحصول على اجوارهم مقابل استخراج الملح ونقله هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد ان العامة والخاصة على حد سواء يستلف الملح ممن يجواره نتيجة للنقص الحاصل فيه [242].

ويعد الذهب أهم عامل في ازدهار اقتصاد غانة اذ اكتسبت هذه المملكة شهرة عظيمة من وجود هذا المعدن الثمين في ارضها حتى ان ملكها كان يدعى "ملك الذهب". تواجد الذهب فيها في مملكة غانا في منطقة بامبوك[*] Bambouk الواقعة بين نهر السنغال ورافده الجنوبي فالم Faleme وفي منطقة بور[*] Boure الواقعة الى الجنوب الشرقي من المنطقة حيث سيطرت

---

[238] كعت، تاريخ الفتاش من اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص 180.

[239] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء الصحراء، ص281.

[240] تشير المصادر في الاعتماد على العامة بالدرجة الاساس في استخراج الذهب والاحجار المعروفة بأسم "الجثث". Levtzion: Nehemiah, Ancient Ghana And Mall,p.124؛ ويدز، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء،ص37-38.

[241] لطيف، العناصر المغربية في السودان الغربي، ص83.

[242] غرياني، العامة في صنغي، ص 106.

[*] بامبوك: تنحصر هذه المنطقة بين ثلاث من فروع نهر السنغال الاعلى وهي نهر فاليمي في الغرب وماخوري في الشرق والسنغال في الشمال وقد كان لهذا المنجم دور كبير في اوراد دولة غانة بما احتاجته من ذهب لادامة تجارتها وتنمية اقتصادها فقد احتكرت تجارته زمنا طويلا فكان وراء شهرتها وثرائها.ينظر حامد، ذهب افريقيا جنوب الصحراء، ص82-83.

[*] بور: تقع هذه المناجم عند التقاء نهر النيجر بروافده تتكون الى الجنوب الشرقي من مناجم بامبوك شمال شرق غينيا الحالية، وقد اكتشف هذا المنجم بعد فترة من اكتشاف مناجم بامبوك ولذلك كانت له اهمية كبيرة في ثراء دولة مالي وشهرتها العالمية التي وصلت الى بلاد اوربا والمشرق.وقد بقي هذا المنجم مستمرا في عطائه الى زمن ظهور دولة سنغاي في القرن التاسع الهجري /14م، ينظر حامد، ذهب افريقيا جنوب الصحراء، ص83-84.

غانا على منجم ذهب هائل كما وجد الذهب أيضا في منطقة ونقارة[*] التي تقع في جنوب المملكة وهي أحد الممالك التي خضعت لحكم غانة [243].

أضحت كومبى صالح عاصمة غانا أكبر سوق السودان يتجمع فيها التجار من جميع الانحاء وخصوصا التجار البيض الذين تحكموا في التجارة السودانية واهمها من الذهب والرقيق [244].

ويذكر انه كان ملك غانة يستضفي لنفسه اجود انواع الذهب ويدع سواه لشعبه حتى لاتهون قيمة هذا المعدن وكان عند بعض الملوك قطعا كبيرة من الذهب تصل الى حجم الحجر الضخم، لهذا احتوت الخزائن الملكية ألواح الذهب التي كانت رمزا للعظمة وكان حجمها كبير فوصل وزن الواحدة منها ثلاثين رطلا وكان الملك يقيد منها حصانة المفضل[245].

ويأتي النحاس بالدرجة الثانية بعد الذهب، وتتركز مكامنه في مدينة تكدا Takedde في اقصى شرق مالي، بين مدينتي كاو وآير على الطريق التجاري عبر الصحراء ويجلب النحاس من مدينة تكدا الى العاصمة نياني حيث يسبك على شكل قضبان وحلقات تباع الى قبائل منطقة آكان الجنوبية مقابل الذهب بنسبة وزن مثقال بثلثي وزنه من الذهب[246]. ويصنعه الحرفيون ادواتاً للزينة وحلي ومقابض للاسلحة وحوافظ لرسائل الاساكي والأمراء والقادة وصناعة بعض الآلات الموسيقية مثل البوق والمزامير وأنواع السكاكين والجرار[247].

2. النجارون: كان لصناعة الخشب من الصناعات الواسعة الانتشار في المنطقة، فمن خشب أشجار الابنوس والخيزران صنعوا الابواب والنوافذ والاعمدة وأدوات الصيد والحرب من نشاب ودبابيس ورماح ونحوها [248].
3. الفخارون: عمل سكان السودان الغربي في صناعة الفخار وتشكيله فصنعوا منه ادوات للطبخ وحفظ الحليب عرفت عندهم بالقدح[249].والقدح عادة مايصنع من الفخار يشرب فيه الماء واللبن والخمر وقد تغنى به شعراء عصر ماقبل الاسلام فقد استخدموه لطهو طعامهم كالقدور والاقداح المصنوعة اما من نحاس او الفخار يشرب فيه الماء واللبن والخمر[250].
4. النساجون وصناعة القطن: طورت هذه الصناعة خاصة بعد وجود المواد الاولية في البلاد منها الصوف والوبر والقطن [251]. مما يؤكد ان هذه الصناعة كانت قائمة من خلال وجود 26 دكانا في تمبكتو يحوي كل دكان من 50الى 100 صانع. أما عن النساء في سونغاي فيبدو انهن قد دخلن في عهد السونغاي معترك هذه الصناعة حيث كن يقمن بتنظيف القطن وحلجه واعداده لمرحلة الحياكه التي كانت تجري على أنوال مثبته في الارض وطور الصانع بعد القرن السادس عشر أنواله بحيث اصبحت تقوم على قوائم ثلاث أو اربع ويعمل فيها شخصان في أن واحد[252].

---

[*] منطقة ونقارة: وهي بلاد مشهورة بالطب وهي جزيرة طولها 300 ميل وعرضها 150 ميلا والنيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة فأذا كان شهر اب وفاض النيل وغطى هذه الجزيرة او اكثرها واقام مدته التي من عادته ان يقيم عليها ثم يأخذ بالرجوع فيقوم سكان السودان بالعودة الى تلك الجزيرة بحثا عن الذهب فيها. ينظر حامد، ذهب افريقيا جنوب الصحراء، ص85-86.

[243] باري، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، 64-65؛ Levtzion: Nehemiah, Ancient Ghana And Mall,p.3

[244] حبيب، التجارة بين مصر وافريقيا في عصر المماليك، ص90.

[245] باري، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، ص65-66.

[246] جاسم، امبراطورية مالي الاسلامية دراسة حضارية، 632- 793ه/ 1235-1390م)، ص37.

[247] وناس، تاريخ مدينة كاو، ص 110.

[248] الدالي، مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، ص67.

[249] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء الصحراء، ص288.

[250] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص 31.

[251] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء، ص289.

[252] الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص498.

وكان القطن عند وصوله الى دكان الحياكة يترك في البداية للنسوة اللائي يأخذن أزهاره ويضعنها فوق حجرة ملساء ثم يمرون على القطن بقضيب حديدي عدة مرات حتى تنفص عنه بذوره، وتبدأ بعد ذلك عملية الغزل حيث تربط كتل القطن بعضها مع البعض الاخر وتدار عدة مرات حول مغزل الى ان تدق وعندها تدار على الة دواره متصالبة الاركان تدعى البربرية وفي هذه المرحلة يكون القطن مؤهلا لعملية الحياكة [253].

وصناعة القطن هي الصناعة التي انتشرت على نطاق غرب افريقيا بأكمله ويقول بانيكار[254]:" ان صناعة القطن كانت على درجة كبيرة من التقدم في بلاد اليوربا ويذكر الشئ نفسه عن بلاد الهوسا ويعطينا وصفا دقيقا لصناعة القطن فبعد ان يجمع القطن من شجيراته يجهز بعناية ويوضع في سلال ثم تقوم النسوة بغزله على مغزل رقيق وقد عرف هنالك نوعان من الانوال:رأسي يستخدمه الرجال، وأفقي تستخدمه النساء والاول مستقيم ضيق يعمل بالبدالات. والشريط الطويل الضيق من القماش ينسج بعرض خمس بوصات وطول عشرة أذراع ويقسم الى خمس قطع طول كل منها ذراعان. وكانت تحوي على اكواخ يوجد في الواحد منه من ثمانية الى تسعة من المغازل والانوال"

ويبدو ان صناعة الاقمشة من القطن بدأت أول الامر في السنغال الحالي في منتصف القرن الحادي عشر ثم عمت بقية أنحاء السودان الغربي بعد ولكنها انما بلغت أوجها خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حيث أصبح الانتاج في كاو يصدر قسم هام منه الى مشارف الصحراء الجنوبية [255].

وتعد حرفة النساجون من الحرف المهمة التي مارسها بعض العوام بحكم وضعيتهم الاقتصادية، لانها لاتحتاج الى مهارة عالية أو أدوات ذات تكلفة كبيرة، ولذلك عمل العامة في هذه الحرفة، وبأنتشار المواد الاولية المستخدمة من قطن وصوف، ونظرا لاهمية الصوف فقد كان يتم التميز بين الاغنام ذات الصوف وغيرها وكان العامة يبيعون صوف الاغنام، وهذا ماأكدته النازلة التي عرضت على أحمد بن أحمد بن الحاج[256].

5. الخياطة والتطريز: هذه الحرفة اقتصرت على الرجال فقط ويسمى الخياط البارع (الفا)أي المعلم وكان يوجد في مالي ست وعشرون مشغلا للخياطة يباشر فيها العمل فيها الكبار بمساعدة بعض الاطفال وقد يصل عدد الخياطين والاعوان في المشغل الواحد الى سبعين شخصا ويصنع الخياط بواسطة ابرته الحديدية كل الالبسة المطلوبة من مختلف الطبقات ومنها:الدرعية، البرنس، الكوباسو، السراويل.
6. الدباغون: كان الدباغون واسمهم السوداني(كورو)، ومما يدل على وجود هذه الحرفة انه حتى أواخر القرن السادس عشر كان قسم كبير من سكان سونغاي يلبسون خلال فصل الشتاء الجلود المدبوغة، أما المخالي والاكياس والسجنجلات والسروج والصنادل والدالي والالجمة والاقتاب ومالياها فقد كانت كلها تتخذ من الجلود وكذا كان الامر بالنسبة لقسم هام من الفرش والاغمدة[257].

وتطورت صناعة دبغ الجلود وكثر محترفوها حيث تعددت الصناعات الجلدية فصنعوا القرب والملابس والنعال والسروج وأغمدت السهام والالات الموسيقية وخاصة الطبل الذي كان من أهم الالات الموسيقية لدى سكان السودان ولقد جلبوا له مواد الصباغة من المغرب ومن مدينة غدامس بليبيا [258]. تصدر هذه المهنة في السودان الغربي بعض المغاربة الذين تقاعدوا من

[253] الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص498.
[254] الوثنية والاسلام / تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقية، ص314.
[255] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591، ص191.
[256] غرياني، العامة في صنغي، ص 111.
[257] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591.، ص192.
[258] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء الصحراء، ص291.

الجيش المغربي، وكانت الادوات المستخدمة في صناعة الاحذية هي المقص ويدعى(الماصو) وخمس قطع لتدليك الحذاء تدى بـ(القوالب) واكبرها يدعى بـ(التمان)، والمسامير والمطارق والمدى الكبيرة والصغيرة واستعمال طحال المواشي كغراء. وكانت احذية النساء مميزة عن احذية الرجال فحذاء المرأة ناعم املس تضاف الية قطعة جلدية في مؤخرته لستر القدم ودعي هذا النوع بـ(التلة) وكان من ملبوسات الطبقة الثرية، أما النوع الصلب فأسمه (السلبى) وهو حذاء المرأة البدوية أو القبلية وكان لكل حذاء نسائي أسم خاص وتختلف الانواع والاسماء حسب لون الجلد وضروب التطريز ولون الخيط المستعمل وكانت أحذية نساء الباشا تطرز بالذهب او الفضة وتدعى (الشرابى) وامتاز نعال الرجال بالبساطة وتباين الانواع واشهرها (البغلة)، وهي متخذه كما هو الشأن في المغرب من جلد الماعز المصبوغ باللون الاصفر ولاتزين البغلة ويكتفي بوضع خطين متوازيين بواسطة آلة حديدية على الظهر وفي الداخل، وكان للبغلة عقب يجعل الرجلين مشتين فيها.

7. الصباغون: تشير الاخبار عن وجود حرفة الصباغة في سونغاي خلال العهد المغربي، ممايدل وجودها خلال عهد الاساقي قبله ايضا وكانت الالوان اكثرها حمراء أو زرقاء أو سوداء وقليله منها صفراء وخضراء وكان الصباغون يستعملون في تجسيمها اوراق النباتات ويضيفون اليها في الغالب الشب والملح، وكان صانعوا الاقمشة في الغالب يجمعون الى ذلك الصباغة بأنفسهم ولكن كان يوجد الى جانبهم بعض الذين تخصصوا في فن الصباغة وحده وكانوا قليلين[259].وبعد ان يتم شراء الجلود من سوق اللحم ويأخذونها الى القناة أو الى النهر لغسلها وعلاجها بالاعشاب الدابغة وازالة الصوف أو الشعر عنها بعد يومين او ثلاثة وبعد غسلها بالماء تكون جاهزة للصباغة وكانت قشور بعض الثمار الوحشية تستعمل في عملية دبغ الجلود أما الالوان فكانت أما حمراء او صفراء أو سوداء يحصل عليها الصانع من انواع من الصلصال أو من ثمر الاشجار أو صدأ الحديد المخلوط بالعسل [260].

8. الحدادون: تعد حرفة الحدادة من ابرز الحرف التي عمل بها العامة، وكان وضع بعض الحدادين الاجتماعي متردٍ لانهم لم يكونوا مستبعدين عن الارتباط بالاعيان وقادة الجيش منذ عهد مالي واستمروا في عهد سونغاي الذين احتاجوا الى صناعتهم من سيوف ودروع وسهام ورماح [261].كان الحديد مناجمه موجوده بكثرة في سونغاي على ايام الاسيقيين، وفي جميع الجهات من البلاد تقريبا، ولذا قامت له صناعات وتكاثر محترفوها فعرفوا استعمال القصدير والرصاص ولكن كان محترفوها قليلين وفي الغالب كان الذين يتولون صناعة الرصاص والقصدير ايضا الأن استعمال هذين المعدنين كان قليلا[262].

ويبين لنا محمود كعت[263] الى بعض القبائل التي كانت تعمل في حرفة الحدادة، فذكر ان أسكيا محمد الاول عندما انتصر على سني بارو، ورث اربعة وعشرين قبيلة دخلوا جميعا في ملك الاسكيا الذي استفاد من هذه القبائل فملت القبائل السابعة والثامنة والتاسعة والحادية عشر في الحدادة وهي قبائل جم تين وجم وسربني وقبيلة سمثاك وكم وان هؤلاء القبائل الخمس كلهم ابوهم واحد وهو عبد المنصاري الذي كان يعمل بالحدادة وهرب من جزر المحيط الاطلسي الى كاو وكان على هذه القبائل ان تقدم لأسكيا مائة رمح ومائة سهم كل عام.

---

[259] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591.، ص192.
[260] الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص500.
[261] كعت: تاريخ الفتاش من اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص55-59.
[262] زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591.، ص190.
[263] كعت، تاريخ الفتاش من اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص55-59.

فأعتمد اهل السودان الغربي في صناعة الاسلحة فيها على البربر لان تجارهم كانوا يأتون بمادة الكبريت من فرنسا، أما معدن الحديد الذي صنعوا منه السيوف والخناجر والرماح فقد كان متوفرا لديهم. وبرع الحدادون منهم في صنع الاواني من الحديد والخشب وكذلك الفؤوس والخناجر والغمد والحدائد التي يستعمونها في الزراعة والحراثة والغرس[264].

9. البناءون: كان للعامة اثر في البناء فعرف عن غانا انهم بناءون ماهرون حتى في انشاء منازلهم الخاصة فعلى الرغم من شظف الحياة وانخفاض مستوى المعيشة لم يغفلوا على تزين ابنيتهم وزخرفتها والتعبير عن احاسيسهم الفنية بما يرضيهم ويرضي ذوق كل اسرة في هذه البيئة[265].وعرف ان اسكيا محمد بعد ان اتم في الحكم سنتين وخمسة اشهر أي في عام 900هـ/ 1494م قام بفتح مدينة زاغ واخذ خمسمائة بناء [266].
10. الوراقين"نسخ الكتب" : لقد عرفت سونغاي في فترة الاسكيا الحاج محمد الكبير حرفة الوراقين وتأليف الكتب وذلك على نمط ماكان في مصر، والمغرب الاقصى، ونتيجة لاقبال حكام وعلماء السودان الغربي على اقتناء الكتب، تمكن التجار من الحصول على أموال ضخمة في بيع هذه السلعة التي كان لها رواج ملحوظ في المنطقة عثرت على فتوى لمحمود بغيغ موجهة اليه من أحد أبناء السودان، يقول لصاحبها:" من مات وخلف كتبا هل يجبر ورثته على بيعها ان يكن فيهم من يصلح لطلب العلم أم لا؟ الجواب لايجبرون على ذلك"[267]. وزاد الاقبال على اقتنائها في عهد أسكيا داوود (959-990هـ/1549_1582م) وهو اول من اقتنى الكتب النادرة واتخذ لها خزائن وجعل له نساخا ينسخونها وقد يهادى بهذه النسخ العلماء والذين أصبح لهم بدورهم من يقوم بنسخ كتبهم[268].
11. صانعوا الصابون: استخدم أهالي المنطقة الصابون في عملية التنظيف فهذا يبين لنا تواجد تلك الصناعة، ويرشدنا الى هذه الصناعة حادثة العجوز مع السلطان، اسكيا داوود قالت :" ولابد لي من حمل غرامة لك تذكرني بذلك وذلك عشر رؤوس صابون في رأس كل سنة"[269]

ولقد تطورت هذه الصناعة بعد دخول الاسلام الى منطقة السودان الغربي فيذكر لنا الانصاري[270] أنه وجد في بلاد سونغاي شجرا يشبة الاراك يحمل ثمرا في قدر البطيخ في داخله شيء يشبه القند حلاوة يشعر بها حموضة يسيرة وشجر يسمى ريكان وثمره كالتمر ينفرك عنه قشره فيكون غاية الدهانة والحلاوة يستخرجون دهنه ويأكلونه عوضا عن السيرج والسمن ويفضلونه عليهما.

واستخدم في صناعة الزيوت والصابون شجر اسمه فاريتي يحمل شبه الليمون وطعمه شبيه بطعم الكمثرى بداخله نوى ملحم، يؤخذ ذلك النوى وهو طري ويطحن فيخرج منه ويجمد مثله تبيض به البيوت وتوقد منه السرج والقناديل ويعمل منه صابون[271].

12. الخياطون: من الصناعات التي تطورت بشكل كبير وواضح بعد دخول الاسلام فأهتموا بالاكتساء نظرا لاعتناق اهل البلاد الاسلام مالوا الى خياطة الثياب وما يتوائم والاسلام فبالنسبة الى الرجل من السرة الى الركبة وبالنسبة الى المرأة معظم

---

[264] لطيف، العناصر المغربية في السودان الغربي، ص84.
[265] غرياني، العامة في صنغي، ص68.
[266] كعت، تاريخ الفتاش، من اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ص61-62.
[267] التزودي، روضات الافكار،، ورقة رقم 7، الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص 330.
[268] لطيف، العناصر المغربية في السودان، ص84
[269] كعت، تاريخ الفتاش من اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص
[270]، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،، ص240.
[271] العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار،، ج4، ص51.

جسدها، لذلك توجب على الزنوج الاهتمام بصناعة الخياطة وتطويرها وقد وجدوا في أرض السودان الغربي المواد الاولية لهذه الصناعة مما شجع على قيامها [272].فلقد كانت تمبكتو من بين اهم المدن السودانية التي تضم أكبر عدد من الخياطين الذين عادة مايرافقون السلاطين عند خروجهم في الحرب والسلم، بقصد تخيط ملابس الجند، وقد رافق الخياطون بلمع الصادق وجيشة عند خروجه لاخية أسكيا محمد بان في كاغ [273].

13. الصناعات المحدودة: ويقصد بها صناعات الادوات التي يصنع أهالي السودان فيها ملابسهم، فكانوا يصنعون جعبا طويلة من جلد النمور يطلقون عليه شكاير. وقد عرفت المنطقة بصناعة مخازن الحبوب التي تصنع من الطين المخلوط بالتبن والملح ؛ حيث يصل ارتفاع الواحدة منها أربعة أمتار ولاتزال هذه المخازن تستعمل عند أهل السودان الغربي الى الوقت الحالي، كما صنعوا حوافض للحبوب من جلود الحيوانات وسموها صينية[274].
14. بناء أحواض السباحة: وهي من الصناعات التي أختصت بها طائفة العبيد، وطريقة بنائها تتم بحفر حفرة طولها نحو ثلاث قامات ثم تملأ بالرمال والأحجار والبنغات فيوضع فيها الحطب فتشعل فيا النار، فيذوب البنغات على الاحجار والرمال، فتصير ملسة ولاتسمح بتسرب الماء[275].
15. صناعة القوارب: وتعد من الصناعات التي برع فيها سكان السودان الغربي، فأن لوقوع امبراطورية غانة على حافة النهر وجاورتها للبحر المحيط، وتوافر الاخشاب وحاجتها للجهاد ونشر الاسلام أوجبت على اهل غانة الاهتمام بصناعة القوارب[276]. فلهم في النيل زوارق عظيمة[277].واشتهرت جزيرة أوليل في الإقليم الأول من أرض السودان على مقربة من الساحل ان بها ملاحة مشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان[278]. وفي غانة دار صناعة ينشؤون بها المراكب الحربية التي تقاتل فيها على جوانب بحيرة كورى[279].فقد كانت زمن الملك سني علي من أنشط الصناعات، وقد شجع سني علي صناعة السفن فأبدع الصناع فيها وتنوعت أحجامها فمنها القوارب الصغيرة والكبيرة وقد استخدمها في حروبه التوسعية وخاصة في هجومه على أمير مدينة جنى كنبر، كما استخدمها في السلم بنقل البضائع، التي لاتنقل آلافي السفن مثل القارو. وشهدت هذه الصناعة كذلك، نشاطا في زمن أسكيا الحاج محمد وخلفائه، وازدادت في فترة المغاربة، وخاصة زمن جودر باشا فعرف ميناء كبره نشاطا للسفن التي كانت ترسو على مرفأ، وقد استخدم أسكيا إسحاق القوارب في فراره من القائد جودر باشا عام 999هـ/1590م.

كانت السفن تصنع من أشجار غليظة وقوية بأن تعد الإعداد الجيد وتنظف من بقية الأغصان، ثم تخاط بطريقة انسيابية فتصنع قوارب صغيرة وسفن كبيرة، وهنالك سفن يتفنن فيها صناع السودان من حيث الأناقة وهي التي ينتقل فيها السلطان[280].

---

[272] نوري، أزدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي، ص99.
[273] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء الصحراء، ص292.
[274] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء الصحراء، ص292-293.
[275] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء الصحراء، ص293.
[276] الجبوري، مملكة غانة دراسة في الجوانب الحضارية من القرن 1-6ه/ 7-12م، ص 131.
[277] القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ج3، ص 427.
[278] الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص16؛ القلقشندي، صبح الاعشا في صناعة الانشا، ج3، ص 316؛ الحميري(900ه/1494م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص64
[279] الانصاري، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص110.
[280] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء الصحراء، ص293-294.

فنلاحظ ان اقتصاد إمبراطورية سونغاي في زمن اسكيا محمد قد شهد تطورا ملحوظ من خلال انشائه أسطولا صغيرا من سفن التموين تمخر عباب النيجر[281].

وكان للنشاط التجاري والموصلات النهرية في النيجر والسنغال أثر في أزدهار صناعة القوارب والعوامات ودليل ذلك ان أسطولا تجاريا ضخما كان يعمل في نقل البضائع بين تمبكتو وغيرها من المدن [282].

16. صناعة الحدادة: تنتشر في كل من تمبكتو وكاو وبسلنكوب وبالتحديد في قرية لفر وكان بها ثلاثة حدادين يصنعون معاول الحرث وأدوات الحرب كالخناجر والسيوف والدروع والخوذات والرماح والفؤوس وحدائد الخيل والمطارق والابر[283]. كان الحدادون يمارسون مهنتهم في الاماكن الواسعة، وكانت لديهم مجموعة من الادوات والاواني التي يضعون فيها المعدن الساخن بعد صهره، وهكذا كانت الحدادة من أبرز الحرف التي عمل فيها العامة، وكان وضعهم الاجتماعي المميز متأتي من واقع مهارتهم وخبرتهم في صناعة الادوات المهمة سواء تلك التي أستخدمها الجيش أو الادوات التي استخدمت في المنازل والمزارع والزينة وغيرها[284].

17. الجزارين: فيذكر السعدي[285] لنا:" ان منسا موسى سلطان مالي لما ملك سونغاي ابتنى بتمبكتو دارا للسلطنة، لكنها صارت في عهد الاسكيا مجزرة للجزارين". وقد فرضت الضرائب على هولاء الجزارين في الامارات التي خضعت لدولة السونغاي، وخاصة سلطنات الهوسا، حيث دغع الجزارون لخزانة السونغاي وعرفت باسم "تاوسا"[286].

وقد أفتى القاضي محمد بن احمد الونكري(كان حيا عام 1040هـ/ 1630م) في احدى المسائل التي طرقت عليه في ان بعض العوام كانوا يعطون للجزارين الجلود ويأخذون في مقابلها اللحوم، وهنالك بعض العوام كان يبيع جملا لجزار ويستثني منه ربعه أو نصفه، وهو مايؤكد على أهمية الماشية في حياة العامة [287].

18. صناعة الاقمشة: انتشرت في بلاد السودان الغربي صناعة اقمشة معينة، كانت تعتمد على ألياف أشجار خاصة تسمى (تورزي) وكانت تلك الاقمشة ذات مميزات خاصة لاتعمل فيها النيران ولذلك كان لها صدى بالغ الاثر في الاوساط التجارية ويقال انها وصلت الى ملك انكلترا وصاحب القسطنطينة وكانت معروفة ايضا في المشرق الاسلامي [288].

الاستنتاجات

بعد الفراغ من هذه الدراسة توصل الباحثان الى بعض الاستنتاجات ارتأينا تسجيلها حسب الشكل الاتي :

1. ان مصطلح العامة في ممالك السودان الغربي اندرج تحته العديد من الشرائح الاجتماعية التي عملت في حقول الكسب المختلفة،من حرفيين وصغار التجار والاجراء والفلاحين والرعاة وبعض الرقيق وغيرهم.

---

[281] باري، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، ص 120.
[282] قداح، أفريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص125.
[283] الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء فيما وراء، ص290.
[284] غرياني، العامة في صنغي، ص 110.
[285] تاريخ السودان، ص7، 8.
[286] غرياني، العامة في صنغي، ص 113.
[287] غرياني، العامة في صنغي، ص 113.
[288] نوري، أزدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان، ص99.

2. ان العمل العضلي والجسدي قد تكبدته الطبقة العامة في مختلف اختصاصات ذلك العمل حتى في الدفاع عن البلاد أو العروش، لهذا فهي – أي العامة– المحور الرئيسي في النشاط الاقتصادي للبلاد السودانية والمنتج الحقيقي للمنافع في المجتمع.
3. أكدت الدراسة ان حيازة الثروة هي اساس تشكيل البناء الطبقي، فقد استأثرت الطبقة الحاكمة باكبر قدر من الاملاك لنفسها، فاصبحوا هم اصحاب الملك بينما بقي افراد المجتمع يعملون في مختلف الحرف لاجل الحصول على قوتهم اليومي.
4. على الرغم من بساطة الحرف التي يعمل بها ابناء العامة الاانها شكلت الركيزة الاساسية لاقتصاد البلد، حتى ان الطبقات الحاكمة لا تستطيع الاستغناء عن حرفهم وخبراتهم كونها تدخل جزء مهم من حياتهم اليومية.

المصادر والمراجع

اولا: المصادر الاولية

- الأرواني: مولاي احمد بابير

السعادة الابدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق الهادي المبروك الدالي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، دار الكتب الوطنية (بنغازي: 2001م).

- الادريسي: ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحموي (ت 560هـ/ 1164م)

نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط1، مطبعة عالم الكتب (بيروت: 1989م).

- ابن بطوطه: محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي (ت779هـ/1377م)

ادب الرحلات (رحلة ابن بطوطة)، دار التراث (بيروت: 1968م).

- الانصاري: ابو عبد الله شمس الدين محمد ابي طالب (ت 654–727هـ/ 1256–1327م)

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية (بطربورغ: 1865م).

- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الاندلسي (ت487هـ/1094م)

المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الاسلامي (: 1992م).

المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة: د.ت).

- التروردي: عبد القادر بن مصطفى بن محمد

روضات الافكار، راجعها وعلق عليها أبو الفا عمر محمد شريف بن فريد، 1991م.

- الحميري: محمد بن عبد المنعم(ت 900هـ/ 1494م)

الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مطابع هيدلبرغ(لبنان: 1984م).

- أبن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي(ت808هـ/1406م)

مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر(بيروت: 2001م).

- السعدي: عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر(ت1066هـ/1655م)

تاريخ السودان، نشر هوادس(باريس: 1964م).

- ابن سيدة: ابي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي(ت 458هـ/1065م)

المخصص، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، مطبعة دار احياء التراث العربي(بيروت: د.ت).

- العمري، أحمد يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت 749هـ/1348م)

مسالك الابصار في ممالك الانصار، ط1، المجتمع الثقافي(ابو ظبي: 1423هـ).

- ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب (ت732هـ/1331م)

تقويم البلدان، مطبعة دار الطباعة السلطانية(باريس: 1840م).

المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة، (بيروت: د.ت).

- القرماني: احمد بن يوسف(ت 1019هـ/1610م)

أخبار الدول وأثار الأُول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، ط1، مطبعة عالم الكتب، (بيروت: 1992م).

- القلقشندي: احمد بن علي (ت821هـ/1418م)

صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت: د. سنة الطبع).

- كعت: محمود بن المتوكل التنبكتي (ت 1002هـ/ 1593م)

تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، نشر هوادس(باريس: 1964م).

لسان العرب، ادب الحوزة (قم: 1405هـ).

- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل(ت711هـ/1311م)

لسان العرب، ادب الحوزة (قم: 1405هـ).

- الهمذاني: احمد بن محمد بن اسحاق، شهاب الدين (ت 365هـ/975م)

البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب(بيروت: 1996م)، ج1، ص128.

- الوزان: حسن بن محمد الفاسي، المعروف بـ: ليو الافريقي(959هـ/ 1552م)

وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي(بيروت: 1983م).

- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (292هـ/ 904م)

البلدان، د. اسم مطبعة(ليدن: 1891م).

تاريخ اليعقوبي، دار صادر(بيروت: د.ت).

ثانيا_ المراجع الحديثة:

- أحمد: مطير سعد غيث

الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/السادس والسابع عشر للميلاد، ط1، دار المدى الاسلامي، (بيروت: 2005م)

- الامين: محمد و محمد علي الرحماني

المفيد من تاريخ المغرب، دار الكتاب الدار البيضاء.

- باري: محمد فاضل علي و سعيد ابراهيم كريرية

المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية(بيروت: 1971م).

- توماس: سير، وارنولد

الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النماروي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: 1971م).

- جوزيف: جوان

الاسلام في ممالك وامبراطوريات أفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويقي، ط1، دار الكتاب المصري، (القاهرة: 1984م)، ص48.

- حبيب: شوقي عبد القوى عثمان

التجارة بين مصر وافريقيا في عصر المماليك طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية(القاهرة: 2000م).

- الدالي: الهادي المبروك

التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، د. اسم المطبعة (طرابلس: 2000م)

التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة: 1999م).

مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن 115م، دار الملقى للطباعة والنشر(بيروت: 2001م).

- زبادية: عبد القادر

مملكة الاسيقيين 1493–1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع(الجزائر: د.ت).

- الشكري: أحمد

الاسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي 1230–1430م، ط1، المجمع الثقافي (ابو ظبي: 1999م).

- شلبي: احمد

موسوعة التاريخ الاسلامي، الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الاسلام حتى الان، ط5، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: 1990م).

- الشيخلي: صباح صباح ابراهيم وعادل محي الدين الالوسي

تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرق أسيا، مطبعة التعليم العالي(بغداد: 1984م.

- طرخان: ابراهيم علي

الاسلام واللغة العربية في السودان الغربي والاوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، د. اسم مطبعة (القاهرة: 1969م).

امبراطورية غانة الاسلامية، المطبعة الثقافية(القاهرة: 1970م).

- عبد العزيز: محمد فتحي

ابن بطوطه في بلاد السودان الغربي 731–754هـ/ 1331–1353م)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة: 2017م).

- الغربي: محمد

بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، اشراف نيقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، (الكويت: د.ت).

- غيث: أمطير سعد

التأثير العربي الاسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، ط1، دار الرواد، طرابلس، 1996م.

- فليحة: احمد نجم الدين و يسري عبد الرزاق الجوهري

افريقية (افريقية جنوب الصحراء دراسة اقليمية)، مطبعة رمسيس(الاسكندرية: 1967م).

فهد: بدري محمد

العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الارشاد(بغداد: 1967م).

- الفيتوري: عطية مخزوم

دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الاسلام)، ط1، دار الكتب الوطنية(بنغازي: 1998م).

- قاسم: جمال زكريا

الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، دار الفكر العربي (القاهرة: 1996م).

- قداح: نعيم

نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الاسلام، مراجعة عمر الحكيم، مطبعة الوحدة العربية، (دمشق: 1964م).

- القشاط: محمد سعيد

التوارق عرب الصحراء الكبرى، مطابع اديتار(ليبيا: 2001م).

- كربخال: مارمول

افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد وينبير ومحمد الاخضر واحمد التوفيق ومحمد سنجون، افريقيا، مطبعة دار المعارف، (المغرب: 1984).

- لطيف: عبلة محمد سلطان

العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغى، ط1، مطبعة حقوق الطبع للمؤلف (القاهرة: 2013م).

- محمد: ظاهر جاسم

أفريقيا في العصور الاسلامية، ط1، دار الجنان للنشر والتوزيع (عمان: 2012م).

- محمد: محمد عوض

الشعوب والسلالات الافريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة(القاهرة: 1965م).

- المحيشي: عبد القادر مصطفى وعبد العباس فضيخ الغريري وسعدية الصالحي

جغرافية القارة الافريقية وجزرها، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع (مصراته: 2000م).

- مقلاتي: عبد الله ورموم محفوظ

دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بافريقيا الغربية، ط1، مطبعة الشروق، 2009.

- المنجد: صلاح الدين

مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، مطبعة دار الكتاب الجديد(بيروت 1936م).

- موسى: عز الدين

دراسات اسلامية غرب افريقية، ط2، دار الغرب الاسلامي(بيروت: 2003م)

- ميغا: أبو بكر اسماعيل

الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي 400–1100هـ في عهد الممالك الاسلامية غانا – مالي– سنغاي التي قامت في غرب افريقيا بين القرن الرابع الهجري والحادي عشر الهجري، مكتبة التوبة (الرياض: د.سنة الطبع).

- هنتس: فالتر

المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (عمان: 1970).

- وناس: زمان عبيد

تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط امبراطورية السونغاي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء 81–999هـ/700–1590م، دار الايام، (عمان: 2015م).

تمبكتو واثرها الحضاري في العصور الاسلامية المتأخرة، دار الايام(عمان: 2015م)

- يولم: دنيس

الحضارات الافريقية، ترجمة علي شاهين، دار مكتبة الحياة(بيروت: 1974م).

ثالثا: البحوث ودوريات

- ابراهيم: عبد الله عبد الرزاق

انتشار الاسلام في غرب افريقيا بحث منشور في موسوعة الثقافة التاريخية والاثرية والحضارية، (دار الفكر العربي: 1946م).

- الابقاري: محمد امين ابة

نشأة الممالك والدويلات الاسلامية، المؤتمر الدولي، الاسلام في افريقيا، العدد14، ذو القعدة 1427هـ/نوفمبر 2006م.

- السنجري: بان حسين حسن

امبراطورية غانا الاسلامية، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد 2حزيران لعام 2012م.

- شميس: عبد المنعم وكامل عبد المجيد

غانا تقاليد وثقافات، مجلة التراث الشعبي، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1977م)، العدد9، السنة8.

- طرخان: ابراهيم علي

دراسات في تاريخ افريقيا الاسلامية قبل عصر الاستعمار: امبراطورية صنغى الاسلامية، مجلة كلية الاداب، جامعة الرياض، السعودية، 1981.

- عبد الحق: عبد الحي

انتشار الاسلام في السوادن الاوسط، ندوة العلماء الافارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية، الخرطوم30/28 تموز/1983(بغداد: 1985م).

- علي: محمود احمد

المصطلحات الاقتصادية في كتاب امثال العوام في الاندلس، بحث منشور في مجلة حروف للدراسات التاريخية، العدد 1، 2014م.

- فارياس: فرنادو دي موريس

نظام تجارة تادمكة وجاو كاوكاو وكويا في اطار تاريخ الصلاة الثقافية على امتداد طرق التجارة عبر الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، السنة الثالثة، العدد الاول، يناير، 1981م.

- نوري: دريد عبد القادر

أزدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي كما وصفته المراجع العربية الاسلامية، بحث مقدم الى المجلة العربية للعلوم الانسانية، الكويت، المجلد 6، العدد 21، 1986م.

- ويدز: دونالد

تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، دار الجيل للطباعة، (الفجالة: د. ت).

رابعا: الرسائل والاطاريح الجامعية

- الجبوري: عائدة محمد عبيد

مملكة غانة دراسة في الجوانب الحضارية من القرن (1- 6هـ/7-12م)، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة الموصل كلية التربية، 2002م.

- حامد: محمد علي ياسين

ذهب افريقيا جنوب الصحراء ودورها في التجارة العربية الاسلامية منذ القرن الرابع وحتى القرن التاسع الهجري العاشر الى الخامس عشر الميلادي، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة الموصل، لعام 1971م.

- غرياني: بطل شعبان محمد

العامة في صنغي (869-1000هـ/ 1464-1591م)، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد البحوث والدراسات الافريقية، 2011م.

رابعا:المراجع الاجنبية والدوريات

Eugenia,Herbert

-Timbuktu A Case study of the role of lengend In History,In: Swaetz B.K And Raymond E Dumett (Editors): West African Culture Dynamics Archaeological And Hostorical Perspectives (Paris: 1980 .(

 Levtzion: Nehemiah :

-Ancient Ghana And Mall, Africana Publishing Company, New York,1980.